بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة موسم الحج أريد أن أتحدث[1] عن الحج، الحج يبدأ بالإحرام والتلبية، لو أن الشخص لبس ثوبي الإحرام ونوى الإحرام ولم يلبِّ فلا يكون محرما، كما أن الشخص إذا نوى الصلاة ووجّه وجهه إلى القبلة ووقف بهيئة المصلي ولم يكبر فلا يكون داخلا في الصلاة، إذن التلبية من الناحية الفقهية مهمة وهي باب الحج

أريد أن أتحدث عن الجانب المعرفي للحج، ذلك الجانب الذي به تُقبل الأعمال، لولا معرفة الولاية كانت الأعمال باطلة، معرفة الأئمة (ع) ليست عبارة عن معرفتهم كما هو متعارف، بل معرفة ولايتهم يعني ماذا كانوا يريدون؟ أمير المؤمنين (ع) لا يُعرف إلا أن يُعرف لِمَ كان يقاتل ولِمَ كان يتألم؟ ماذا كان يريد أن يفعل؟ لابد أن تُعرف ولايته، لولا هذه المعرفة كل شيء آخر لا ينفع، هذا هو المنطلق ومن هذا المنطلق الإنسان يصلي ويصوم ويحج، فالحج يأخذ موقعه الطبيعي عندما تكون هنالك معرفة

في رواية صحيحة –هذه الروايات لابد أن تهتموا بها فعمر الإنسان لا يتكرر– عن أبي جعفر (ع) قال: (ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه –يعرف ولايته ثم يواليه يتابعه وفق ولايته– **ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان)[2]، حتى إذا الشخص يدّعي أنه شيعي، هذه المسألة لابد أن نعرفها**

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة ١٣ ذو القعدة ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) الكافي (١٩/٢)

أخطر شيء حصل في حياة هذه الأمة بعد وفاة رسول الله (ص) أن الولاية حُرّفت عن موضعها، أمير المؤمنين (ع) يعترف به كثيرون لكن ولايته لا يعرفونها، وعلى هذا الأساس إنسان شيعي يتصور أنه موالٍ لأهل البيت، كل الأشياء الظاهرية تشير إلى أنه هو موالٍ لأهل البيت لكن هو لا يعرف أمير المؤمنين (ع) لا يعرف لمَ كان يقاتل ولمَ كان يتألم؟ لو كان أمير المؤمنين (ع) موجودا كيف يكون الحج؟ الصلاة ماذا كانت تُنتج؟ الجهاد كيف يكون؟ الحياة كيف تكون؟ هل في حياتك –في أي عمر منذ أن بلغت– فكّرت لو أن أمير المؤمنين (ع) انتصر ونجح ماذا كان يحدث؟ الإمامة الضالة القائمة الآن تقول لك لا تفكر وما عليك شيء فقط عليك أن تحج بهذا الشكل، أما الإمامة الصالحة هي التي تقول لك لابد أن تتعقل وتربط الأمور بعضها ببعض، ما هو الفرق بين أمير المؤمنين (ع) ومعاوية؟ لا في الاسم، هذا كان من بني أمية وأمير المؤمنين (ع) كان من بني هاشم، أو أنه (ع) كان أفضل الخلق مثلا، بل في الوجهة والدعوة

بطبيعة الحال كل شيء الآن متغير وعلى هذا الأساس هذا الظلم الشامل الذي تجده في كل شيء بحيث بعضنا يُجهِّل بعضا، وعلى هذا الأساس كن شيعيا أو غير شيعي لا يتغير شيء تبقى كما أنت، حتى إذا إنسان –والعياذ بالله– يتنازل عن الصلاة والصيام والحج ماذا يتغير؟ نفس الرغبات نفس الذهنية نفس النفسية نفس الوضع نفس الحياة

الله خلقك كما خلق بلال، خلقك كما خلق عثمان بن مظعون نفس الإمكانيات الموجودة لعثمان بن مظعون موجودة فيك، خلقك مثل مسلم بن عوسجة، مثل مالك الأشتر بنفس الإمكانيات، هؤلاء كانوا يفكرون وكانوا يعرفون دربهم، رسول الله (ص) كان معه أناس يعرفون دربه ويتبعونه، (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[٣]، الذين اتبعوا رسول الله (ص) كانوا رجالا ونساء حتى لا أحد يقول بأنه فقط الرجال، وكان فيهم كبار السن وفيهم شباب حتى شخص لا يقول أنا كبرت، وخصوصا أن

---

[٣] (يوسف: ١٠٨)

رسول الله بعث من منطقة كانت –حسب جميع المقاييس القائمة في ذلك الحين– لا قيمة لها و(قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[٤]، أو (أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا)[٥]، هكذا كان قريش يقولون

الطريق الضال الذي نعيشه هو هكذا يقول: نحن ما علينا شيء فقط علينا الصلاة والصيام والحج خصوصا بهذه التسهيلات الموجودة الآن في الحج فما علينا شيء، هذا إيحاء شيطاني، نحن نعيش هذا الوضع بحيث بعضنا يؤيد بعضا ويسند بعضنا بعضا بهذا الطريق الضال الذي نعيشه، الشيطان يريد أن يخذلك ويسلب منك إمكانياتك، هذه الإمكانيات التي أعطاك الله تبارك وتعالى، هنالك نفوس كثيرة في العالم تراقب وتنتظر هذه الإمكانيات وبحاجة إلى هذه الإمكانيات، ابدأ بالتفكير فيها في قرارة نفسك لا تكتفِ بأنه فقط تصلي وتصوم وتحج، ابدأ من الآن

بعد وفاة رسول الله (ص) أصبح هنالك زيف وظلام هائل، الخطبة الشقشقية كم قُرأت عليك؟ وبكيت على مظلومية أمير المؤمنين (ع)؟ لكن لم تفكر بأن هذا الظلم الذي يشكو ويتألم منه أمير المؤمنين (ع) ماذا كان يعني؟[٦] هل فكرت ما هي المسائل التي غطاها هذا الظلام؟ هل كانت مظلومية أمير المؤمنين (ع) لأنه يريد الأمور لنفسه؟! أو لـ(أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز)[٧]

---

[٤] (الزخرف: ٣١)

[٥] (الأنعام: ٥٣)

[٦] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٢ – نبوة النبي (ص)** فصل (**موضع الولاية**)

[٧] نهج البلاغة (الخطبة ٣)

فآلام أمير المؤمنين (ع) والأئمة (ع) وتأذياتهم كانت ليقوم الناس بالقسط[٨]، لكي تقوم أنت بالقسط لكيلا يخذلك الشيطان ويقول لك فقط تعلم المسائل الشرعية وتمسك بها ليس عليك أي دور في هذا العالم غير هذا، فقط تتزوج وتربي أولادك مثلك ثم بعد ذلك تجعل منهم –من دون أن تدري– عبدة للطاغوت لتزيد بذلك حلقة في هذه الحلقات المتصلة للإمامة الضالة، ثم بعد ذلك تموت وهكذا تمشي الأمور، بدل أن تُثقل الأرض بكلمة لا إله إلا الله عن طريق أهلك

ليراك الله أنك اهتممت بدينك، أنت اهتممت بأمير المؤمنين (ع) وإمامته، هذا أمير المؤمنين إمامنا (فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا)[٩]، تراثي يعني رسالة رسول الله (ص) أراها ضاعت، نهبوها، إذا أنت عرفت أمير المؤمنين (ع) هذا سيعطيك دفعا وبصيرة، وسيراك الله تبارك وتعالى تجاهد في سبيله (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)[١٠]، هنا الشيطان ينشط فيقول لك ما عليك شيء فقط ادفع الخمس وتصدق ثم اصرف كما تشاء، افعل كما تشاء، اقرأ كما تشاء، انظر كما تشاء من دون أن تفكر بأن عليك رسالة في هذا العالم

التلبية أين موضعها؟ لولا تعرف ولاية رسول الله (ص) ولاية أمير المؤمنين (ع) ولاية القائم (ع) الذي تنتظره ولاية أولياء الله لولا تعرف هذه الولاية لما كان لك نور، لو لم يكن لك نور لما عرفت موضع التلبية، التلبية ماذا تصنع؟ ماذا تعني التلبية؟ ولاية الشيطان توحي إليك أنه ليس عليك إلا أن تسمع الحديث الديني وينتهي بهذا دورك ما عليك أي شيء آخر، كلنا يجب أن نتعاون فالمسألة ليست مسألة المتحدث وحده ولا مسألة أحد لوحده، (وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه، ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن

---

[٨] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت ٤ – الإمامة فصل (مظلومون)**

[٩] نهج البلاغة (الخطبة ٣)

[١٠] (النساء: ٧٥)

يعين على ذلك أو يعان عليه)[١١]، هذا الضياع هذا الظلام الشامل هل تشعر به؟ هل تستطيع أن تستجيب لنداء الله تبارك وتعالى ولنداء رسول الله (ص)؟ رسول الله حينما بعث ماذا كان يفعل؟ من كان يستجيب له؟ أبو ذر ماذا فعل؟ كان يرعى الغنم ترك غنمه في الصحراء، كان أُمّيا حافيا، لو كان يفكر مثلنا لقال: أنا لا أقدر أن أفعل شيئا! فقط هؤلاء العلماء هم الذين يستطيعون أن يفعلوا، الرهبان هم يستطيعون أن يفعلوا، الأحبار هم يستطيعون أن يفعلوا، هؤلاء الذين يحملون ألقابا ضخمة هم يستطيعون أن يفعلوا، يقال أنه بعث أخاه ليفتّش عن هذا الصوت الجديد وكأنه يقول: ابحث عن هذه الصرخة الجديدة صرخة القيام للقسط صرخة القيام بالعدل[١٢] صرخة القيام لأجل المستضعفين المظلومين الذين ظلموا في أغلى ما يمتلكون وهي نفوسهم فجُعلوا عبيدا للحياة وجُعلوا عبيدا لهذه الحياة هذه هي أكبر خسارة للإنسان، الإنسان يصبح عبد الطاغوت، أخاه رجع فقال له أبو ذر: ما صنعتَ شيئا!، فقرر الذهاب بنفسه والتقى بأمير المؤمنين (ع) ثم بعد ذلك ذهب إلى رسول الله (ص) وحينما قرأ عليه القرآن فانتبه وتغير، قال: سأعلنه صرخة على نادي قريش، قال له رسول الله (ص) سيؤذونك، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله[١٣] وأصبح متمسكا بهذا الدين إلى أن توفي وحيدا وسيحشر أمةً[١٤]، أبو ذر كان بمفرده تحرك واستجاب لهذا النداء ثم عاش وحيدا بمفرده بعد وفاة رسول الله (ص) إلى أن توفي وحيدا

أنت تستطيع أن تكون في هذا الطريق لكن المشكلة الآن هنالك أغلال قيود كثيرة تمنعك عن النهوض والتفكر في موقع التلبية من الحج، التلبية ماذا تصنع هل التلبية هي تصنع لك الحج وتوجه لك الحج باتجاه معين؟ إذا تعرف التلبية ماذا يتغير؟ هل يبقى الحج كما هو؟ هذه التلبية هي مفتاح الحج هي

---

(١١) نهج البلاغة (الخطبة ٢١٦)

(١٢) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٦ – المهدي** (ع) فصل **(ما هو العدل؟)**

(١٣) البخاري (٢٥٨/٤) – باب قصة زمزم

(١٤) تاريخ دمشق (٢١٦/٦٦)

التي توجّه الحج هي التي تصبغ الحج بصبغتها لتكون الاستجابة لله وحده، لا تتعامل مع المسائل كنظريات فتصبح التلبية بمعزل عن الأشياء الأخرى! أنت لابد أن تفكر، هل دور التلبية في حياة الحجاج يبقى قائما أو يموت؟ الاستجابة في الحج تكون لمن؟ لله وحده أو لغيره من الأشياء؟

لابد أن تفكر، لكي تقوم بالقسط لابد أن يكون لك نورك وتكون لك رؤيتك (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[١٥]، لا فقط رسول الله (ص) كان يقول هذا الشيء ولا فقط القرآن نزل بهذا بل هذا في الصُّحف الأولى صحف إبراهيم وموسى كذلك، فكر ماذا أعطتك التلبية، هل التلبية كانت كمفتاح للحج وتصيغ الحج صياغة معينة، تجعل الحج حجا إبراهيميا[١٦]، تجعل الحج حجا محمديا تجعل الحج حجا علويا، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، هل هذه الكلمات ترددها فقط أم هي التي تصيغ حياتك؟

بعض الأحيان أرى هنالك شبابا متدينون حسب الظاهر ولكنهم متخاذلون، الله عز وجل معطيهم كل الإمكانيات لأن يقوموا بدورهم لأن يقوموا بالقسط لأن يكون لهم نورهم لأن يكونوا من أتباع أمير المؤمنين (ع) من أتباع الحسين (ع) بصدق وأن يكونوا ممن يقول فيا ليتني كنت معك فأفوز فوزا عظيما، يؤلمني حينما أجد إنسانا حياته رغباته عبارة عن أنه كيف يمشي كيف يلبس كيف يأكل أين يذهب، حتى حينما يتعامل مع الدين يتحول كل الدين إلى معلومات فقط أو إلى بعض المظاهر التي تعوّد عليها فقط، هذا يؤلم ويدمي القلب

أكتفي بهذا المقدار ولعل الله تبارك وتعالى يجعل في هذه الصرخة أثرا في هذه النفوس التي خلقها الله لأن تكون حية نابضة بذكره الحقيقي والتي يريد الشيطان أن يميتها، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين

---

(١٥) (النجم: ٣٨)

(١٦) بيّن السيد (قدس سره) هذا الموضوع في كتاب (**الحج في مراحله الأربع**)